

التَّوفَلُ واستراتيجيّاتُ التَّفَلِّبِ على الإخفاقِ في تجاوزه

مقياسٌ مقترحٌ لتقويم فاعليةِ نُظُمِ معلوماتِ المواردِ البشريّةِ في المنظّماتِ التّعليميّةِ المعاصرةِ



الدُّكْتُورُ: مُحَمَّدُ الجَرَايدَةُ
أستاذٌ مساعدٌ في الإدارةِ التّعليميّةِ

من منطلق أنّه لم يُيّن مقياسٌ لتقويم فاعليةِ نُظُمِ معلوماتِ المواردِ البشريّةِ في المنظّماتِ التّعليميّةِ المعاصرةِ حتّى الآن، باعتبارها أسلوباً معاصراً من الأساليب الإدارية الحديثة التي تساعد في ترشيح العمليّةِ الإداريّةِ لمجابهة التّحديات في عالم متّسم بالتغيير المستمر؛ فقد تمّ بناءُ هذا المقياس بالاعتماد على نماذج التّقويم في الإدارة العامّة وإدارة الأعمال والمصارف، وتمّ التّأكد من صدقيّه ومدى ملاءمته للبيئةِ التّعليميّةِ. وللمقياس دورٌ كبيرٌ ومهمٌ في تحديد وإيضاح جوانب القصور والقوّة والضعف في نُظُمِ معلوماتِ المواردِ البشريّةِ المستخدمة في المنظّمات التّعليميّةِ المعاصرة، والتي يمكن أن تمثل عقبة في نجاحها وزيادة كفاءتها؛ ممّا يساعد على لفت انتباه القيادات التّعليميّة في هذه المنظّمات إلى ضرورة تذييل تلك المشكلات والعقبات، ومعالجتها واقتراح الحلول المناسبة التي قد تساعد في رفع مستوى فاعلية النّظُم وتطويرها.

تمّ بناءُ مقياس فاعليةِ نظمِ معلوماتِ المواردِ البشريّةِ في المنظّماتِ التّعليميّةِ المعاصرة من خلال الاعتماد على نماذج التّقويم في الإدارة العامّة وإدارة الأعمال والمصارف؛ حيث لاقت هذه النماذج قبولاً كبيراً في مجال التّطبيق، واستخدمت في كثير من الدّراسات كمقياس لمعرفة فاعلية نظم المعلومات وكفاءتها، من خلال تركيزها على تقويم نوعية مدخلات هذه النّظُم وعملياتها ومخرجاتها، ومن هذه النماذج ما يأتي: نموذجُ بالفيبا (Palvia, 1996)، والذي يضمُّ (٢٦) معياراً، وقد تُرجم إلى اللغة العربية من قِبَلِ اثنين من المختصّين في التّرجمة، وللتأكّد من دقة التّرجمة فقد تمّت ترجمتهُ أولاً إلى اللغة العربيّة، ثمّ أُعيدت ترجمتهُ من العربيّة إلى اللّغة الإنجليزيّة مرّةً أخرى. نموذجُ (يوئيل، ١٩٩٦)، والذي يضمُّ (١٤) معياراً. ونموذجُ (أيوب، ٢٠٠٠) والذي يضمُّ (٢٣) معياراً.

تكوّن المقياسُ الجديّدُ (الجرادية، ٢٠٠٦) من ٤٩ معياراً اندرجت تحت (٨) أبعاد رئيسيّة، هي: كفاءة العاملين في النّظام، وملاءمة البرمجيات المستخدمة، وملاءمة الأجهزة المستخدمة، وسهولة استخدام النّظام، وكفاءة العمليّات في النّظام، وملاءمة معلومات النّظام، ومرونة معلومات النّظام، وسريّة معلومات النّظام، بعد أن تمّ التّأكد من صدقيّه بعرضه على مجموعةٍ من المحكمين المختصّين في مجال نظم معلومات الموارد البشريّة في الجامعات، وبلغ عددهم (١١) محكماً، وطلب منهم إبداء آرائهم وملاحظاتهم على معايير النموذج، من حيث سلامة صياغتها، وسهولة فهمها، ودرجة شموليّتها، واتساق عباراتها.

وقد تمّ الأخذ ببعض المقترحات التي أدلى بها المختصّون، وإجراء بعض التّعديلات في صياغة بعض المعايير، وحذف بعض المعايير غير المناسبة. وبعد أن استقرّ نموذجُ التّقويم بصورته النهائيّة، تمّ عرضه على مجموعةٍ من المختصّين في وزارة التّربية والتّعليم لمعرفة مدى ملاءمته للبيئة التّعليميّة، وقد تمّ الأخذ ببعض المقترحات التي أدلى بها المختصّون، وإجراء بعض التّعديلات في صياغة المعايير.

من هيت التّحريف

بداية يعرف لنا الأستاذ الدكتور آية الله العبادي - مدير مركز اللغات بالجامعة- التوفل (TOEFL) بأنه امتحانٌ لغويّ لغير الناطقين باللغة الانجليزية؛ فهو لا يطلق على المتحدّثين الأصليين بها، وإنما على أولئك الذين يتعلمون هذه اللغة لقياس مدى استعدادهم لتلقي المعارف النظرية والتطبيقية في مجال تخصصهم باللغة الإنجليزية، وهو مختصر لتعبير (language Test of English as a Foreign).

وإدارة امتحان التوفل تتم من خلال شركة غير حكومية تعرف بـ(ETS)، وهي منظمة كبيرة تدير امتحانات أخرى، وقد حظي التوفل من بينها بشهرة واسعة؛ وهو مقياس من المقاييس اللغوية العالمية.

هيكلية التوفل

ويضيف الأستاذ الدكتور آية الله العبادي: إنّ التوفل ينقسم إلى ما يعرف بـ"التوفل العالمي" الذي يدار مباشرة من قبل مؤسسة التوفل، وآخر بـ"التوفل المؤسسي" - الذي تديره المؤسسات، وهو معتمد في السلطنة، وبعض البعثات الخارجية. والتوفل المؤسسي شأنه شأن التوفل العالمي تصدره مؤسسة (ETS) وتحصل عليه الجامعة مقابل مبالغ تدفع لتلك الجهة، وكلا الاختبارين متشابهان تماماً من حيث تكوينهما ومصدر إعدادهما، والاختلاف الوحيد في الجهة التي تدير وتشرف على عملية إجراء الامتحان. والحديث في هذه الحلقة سيكون عن التوفل المؤسسي أو ما يسميه البعض بالمحلي.

ومن حيث أقسام اختبار التوفل - المؤسسي والعالمي - فهو يوزع على محاور ثلاثة: الاستماع والفهم (وله ٥٠ سؤالاً لمدة ٢٥ دقيقة)، النحو والتعبير الكتابي (وله ٤٠ سؤالاً لمدة ٢٥ دقيقة)، والأخير هو فهم النصوص والقراءة (وله ٥٠ سؤالاً لمدة ٥٥ دقيقة)، ويتم توزيع نقاط التوفل من قبل علماء مختصين في الجانب اللغوي والتعبيري وفي الإحصاء، وهم يمتلكون خبرات وقدرات واسعة تأهلهم لهذا العمل. ولا بد أن نشير هنا إلى أهمية تحكّم الطالب في الوقت المخصص لكل محور حيث إنّ إدارة الوقت جزء من عملية الامتحان.

إدارة الوقت جزء من عملية الامتحان

كما اتضح سلفاً بأن ثمة توزيعاً للوقت على أجزاء اختبار التوفل، وهنا تسأل طالبة هاجر البلوشية -من كلية العلوم والآداب- عن مدى إمكانية النظر في مسألة الوقت المخصص للاختبار، ويجيبها الأستاذ الدكتور آية الله العبادي بأن الوقت المحدد للاختبار هو جزء من الامتحان ذاته، فإدارة الوقت أمر مهم وضروري، وهذا التوزيع لم يكن بشكل عشوائي إنما تم عن طريق أسس مدروسة من خبراء متخصصين.

ولذا فعلى الطالب ألا يتوقف أمام أية جزئية أو مطب لغوي لإعطائه أكثر من الوقت المخصص له الأمر الذي يؤدي لضياع الوقت، بل تجاوزه وربما وجد الممتحن شيئاً في السياق يدل على المعنى، كما لا بد أن يعي الفكرة العامة بدلاً من تكثيف الاهتمام على الفقرة أو الكلمة فالمعنى العام يعد مفتاحاً رئيساً للفهم.

وفي سياق إشارة الأستاذ الدكتور العبادي للشهرة العالمية التي حظي بها اختبار التوفل؛ سأل الطالب أحمد الحضرمي: هل يمكن اعتبار امتحان التوفل بأنه الامتحان الأكثر شمولية وجودة من غيره؟ فيجيب الأستاذ الدكتور العبادي: لا يمكننا الحكم بأن التوفل هو الأكثر تميّزاً

ودقة؛ لأنه الأكثر رواجاً وتوزيعاً في دول العالم، فسعة انتشار أي مقياس أو أي ظاهرة لا يعد هذا الأمر بالضرورة معياراً لتمييزها عن غيرها، ولا يمكن أيضاً إصدار أحكام جزافاً، والطعن في دقة مقياس بمجرد نظرة عامة؛ الأمر يتعلق بنظام المؤسسة ولوائحها المتبعة؛ ويدخل السوق العالمي في جملة المؤثرات أيضاً لانتشار مقياس معين دون آخر.

وعلى أية حال يمكن القول بأن التوفل هو أحد أهم وأشمل وأجود اختبارين عالميين في الإنجليزية كلغة أجنبية.



أسون واربع!!!

ويشير الدكتور آية الله العبادي إلى أن الكثير من الطلاب يحسبون النجاح في اختبار التوفل قائم على ضرب من الحظ. ويؤكد هذا الأمر الطالب الحضرمي: قائلاً: نعم...يعتقد الطلاب بجدي لعبة كُون واربع"، ومن ثمّ كَسب الدرجات بطريقة عشوائية.

يجيب الدكتور: إنّ هذا الأمر لا أساس له من الواقع، والاستعداد المعرفي والمهاري للطالب هو من ينقذه من التوفل، وبالتأكيد إذا كان الطالب ذا تكوين معرفي ومهاري جيد سيلقى حظاً أوفر، والاعتماد على الحظ - بالتأكيد- لا يعد استعداداً، إنما هو من الحيل الفاشلة.

من الثانوية إلى اختبار التوفل!!

يذكر لنا الأستاذ الدكتور آية الله العبادي أن هناك العديد من المعطيات التي تساعد على تجاوز الامتحان منها: تقسيم مستويات الطلاب في اللغة الإنجليزية على أسس مدروسة، فهي تنقسم إلى سبعة مستويات، وأغلب طلاب الجامعة يدخلون المستوى الأول والثاني والثالث مما يدل على أن نصف الطلاب يحتاجون إلى مادة لغوية كبيرة للوصول إلى ٥٠٠ نقطة في هذا الاختبار.

وأكد هنا الدكتور العبادي أن الحصيلة اللغوية الجيدة تعد من المعطيات الرئيسيّة لتجاوز التوفل، ويمكن أن يكتسبها بالقراءة وبذل الاهتمام المكثف لاكتساب اللغة، وعدم اعتبار التوفل سلسلة من التجارب الفاشلة؛ لذا فتجاوز اختبار التوفل ليس أمراً مستحيلًا أو صعب المنال، فثمة طلاب تجاوزه بالفعل من أول تجربة، ومنهم طالبة حصلت على ٦١٧ نقطة؛ إذ كانت كثيرة القراءة لقصص وروايات وكتب مختلفة باللغة الإنجليزية. هنا أكدت الفاضلة نرجس الراشدية أن الرصيد اللغوي والاستعداد المكثف لهذا الأمر يعين الطالب على تجاوز التوفل.

وتأثيره في مسببات الإخفاق. ويؤكد الطالب محمد العدوي -كلية العلوم والآداب- بأن نصيباً وافرًا من المسؤوليّة يقع على عاتق الطالب لا سيما في السنة التأسيسية، فالكتب المقررة في هذه السنة ليست مجرد متاع يحمله الطالب من الجامعة إلى السكن ومن ثم العكس، إنما لا بد من اهتمام مكثف ورغبة صادقة للتعلم.

موارد متعددة لتجاوز التوفل

ثمة موارد متعددة تسخرها الجامعة وينظمها مركز اللغات لمساعدة الطلاب في تجاوز التوفل، وهذا ما توكّده الفاضلة نرجس الراشدية من مركز اللغات قائلة: إن مركز اللغات ينظم العديد من الدورات والورش وجلسات المتابعة التي تساعد الطالب على تجاوز الامتحان، وتقوم مجموعة من المحاضرين بتدريس الملتحقين بهذه الدورات بشكل مكثف الأمر الذي يساعدهم على تحسين مستوياتهم واكتساب اللغة.

ويؤكد الأستاذ الدكتور آية الله ذلك، قائلاً: الجامعة تسخر موارد وإمكانيات متعددة لمساعدة الطالب في تجاوز إشكالية التوفل -إن صح التعبير-، ولكن من الملاحظ أن متابعة الطلاب لمثل هذه الأمور تكون قبل موعد اختبار التوفل بفترة قصيرة أو بعد إعلان النتائج، ثم بعد ذلك لا يواصلون اهتمامهم. والحل لهذا الأمر يكمن في أمور منها: وعي الطالب بإمكانية مساعدته، ورغبته الحقيقية في الحصول على هذه المساعدة، وأيضاً اعترافه بحاجته لذلك وسعيه الدؤوب. فإجبار طالب ما على الحصول على مساعدة أو متابعة مستواه لا يحل المشكلة ما لم يع الطالب مشكلته ويجتهد في متابعة حلها عبر المنافذ المخصصة لذلك.

التوفل وأهمية الاستعداد النفسي والجسمي

أشار الأستاذ الدكتور العبادي إلى أن الاستعداد النفسي والجسمي مهم لتجاوز التوفل، فما نجده مع بعض الطلاب بأنهم يطولون السهر ليلة الاختبار ويجهدون أجسامهم بذلك، فيدخلون قاعة الاختبار وأجسامهم منهكة؛ إذ لم يعتن الطالب بنفسه صحياً، وهذا يزرع داخله نوعاً من الارتباك. وهذا الأمر بالتأكيد يعد من العوامل المؤثرة في تحديد وضع الطالب في التوفل.

دعوة مفتوحة

اختتم الدكتور آية الله العبادي حديثه بتأكيد دعوته لجميع الطلاب بضرورة الانتباه لمستواهم في اللغة الإنجليزية، وضرورة طلب المساعدة والتواصل ليس فقط بهدف تجاوز التوفل وحسب، إنما لإعدادهم لحياتهم العملية المرتبطة بالجانب اللغوي أيضاً، وأكد أن المركز يبذل من أجل الطالب كل ما بوسعه، كتنظيم الدورات والورش التدريبية وجلسات التوجيه وتخصيص ساعات مكتبية لمتابعة مستويات الطلاب وغيرها من الأمور التي يجب أن يستثمرها الطالب لصالح حياته الأكاديمية. ورحب بأية ملاحظات أو استشارات تخدم الطالب وتساعد في الرقي بمستواه الدراسي.